

الفصل الثاني

الإطار النظري

أ. المبحث الأول: سمط الدرر في أخبار مولد خير البرية وما له من أخلاق وأوصاف وسير

١. تعريف سمط الدرر

أن هذا المولد سمط الدرر عم به الإنتفاع وشاع وذاع في جميع البقاع، ولا تزال تتلذذ به الأسماع، أحب المؤلف أن يذكر نورا يسيرا مما يتعلق به ترغيبا للقارئ الكريم، والمستمع الفهيم، ففي كلام سيدنا الحبيب على المنثور قال رضي الله عنه مخاطبا محبه الشيخ بكران باجمال: أنا بألمي مولد مختصر، الحبيب صلى الله عليه وسلم بايقبله، والناس بايحبونه وبايحفظونه وبايطبعونه وباتقع مواده قوية. وقال رضي الله عنه في وصف المولد وارد جديد برز في يوم سعيد مدح به خير العبيد. وقال رضي الله عنه: المولد الذي ألفتة كرامة للمتأخرين، ولما قرئ عليه المولد بيته سنة ١٣٣٠ هـ^١، قال رضي الله عنه: المولد كأن عاد نحن إلا سمعناه، عليه نور عظيم وكل عبارة صفه مألوفة بتعظيمه صلى الله عليه وسلم. وقيل له: مولدكم العظيم هذا سمط الدرر برز للمتأخرين وفيه الأوصاف العظيمة والأخلاق الكريمة وفهومها وعرفومها أظنها خصوصيات اختص بها المتأخرون. فقال رضي الله عنه هي من المط التي وعد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: "مثل أمي مثل المطر، لا يدري أوله خير أم آخره".

وقال رضي الله عنه: دعوتي عمت الوجود كله، ومولدي هذا انتشر في الناس وبايجمعهم على الله وبايحبهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقال أيضا: المولد فيه سر عظيم حتى أنا نتحدد لي بقراءته مفاهيم جديدة، كلما سمعته فكأنه لم يجر على لساني.

¹ Naufal, Muhammad Alaydrus, Biografi Habib 'Ali Habsyi Muallif Simthud Durar, (Solo: Pustaka Zawiyah, 2010), Hal: 62

وقال أيضا: المولد أنا ألفتة على نية صالحة فتح جديد ولاشك أن روحه صلى الله عليه وسلم تحضر عند قراءته².

وقال له الحبيب عمر بن عيروس العيروس، وأيت البارحة كأني أشتكى إليك قلة الفهم في الأولاد فقلتم لي، خلهم يكتبون المولد حقي، وكأنكم تشيرون إلى أن الفتح في كتابته. فقال رضي الله عنه هكذا الكلام: من أراد الفتح فليحفظ المولد أو يكتب. وقال رضي الله عنه: مولدي هذا أشوف أنه لو داوم الواحد على قراءته وحفظه وجعله من أوراده، أنه بايظهر له شيء من سره صلى الله عليه وسلم. أنا الذي ألفتة بنفسي، وأنا الذي أملتته، كلما قرئ علي فتح لي باب اتصال به صلى الله عليه وسلم، وكلامي فيه صلى الله عليه وسلم مقبول لدى الناس، وذلك من كثرة محبتي له، حتى في مكاتباتي إذا جئت عند صفته صلى الله عليه وسلم يفتح الله علي فيها بعبارة ما توجد فيما قبلها إلهام من الله تعالى.

وقيل له هذه الأنفاس يعني مولده سمط الدرر في الزمن الأخير ما توجد فيما قبله. فقال رضي الله عنه: بروز هذا المولد في هذا الزمان بايجبر ما فات المتأخرين من الأزمنة السابقة، لأن الذي فاتهم مما أنزل الله على المتقدمين ما هو قليل، ولكن لما جاء هذا المولد جبر ما فات والني صلى الله عليه وسلم فرح بالمولد جم.

ففي كلامه أيضا بشارات ومنامات صالحات على الطلب لها والراغب فيها أن يتتبعها في كلامه المنتور ليكون من أهل النور "ومن لم يجعل له من نور". سمط الدرر هو أدبي صوفي فيه الأشعار والنثر الذي فيه الأسرار والحكم المهمة وذلك قد قدمه فالباحث هنا يجرب أن يحقق تلك الأسرار والحكم الأنيقة النافعة من محاسنة معنوية. وفقنا الله للتسليم لكلام العارفين والتصديق بعلوم أهل اليقين وعين اليقين وحق اليقين. فقد قال إمام الدعوة والإرشاد الحبيب عبد الله الحداد:

وسلم لأهل الله في كل مشكل # لديك لديهم واضح بالأدلة

² Naufal, Muhammad Alaydrus. Biografi Habib 'Ali Habsyi Muallif Simthud Durar. Hal: 61

وذكر سيدنا الحبيب علي في كلامه أن الجنيد بن محمد شيخ الطائفة قال:
التصديق بعلمنا ولاية صغرى فنسأل الله أن لا يحرمنا منها ولا من الكبرى بحق
أبي الزهرا زوج الكبرى^٣.

٢. تاريخ الكتابة سمط الدرر

قد كتب وألف الحبيب مولد سمط الدرر في الثامن والستين من عمره. ويوم
الخميس في السادس والعشرين من صفر ١٣٢٧ هـ كان الحبيب علي يملي الفقرة الأولى
من سمط الدرر بعد ابتداءه بالبسملة: الحمد لله القوي سلطانه الواضح برهانه. إلى قول:
وهو من فوق علم ماقد رأته رفعة في شؤونه وكمالاً^٤.

ثم أمر الحبيب بقاء كتابته إليه، وهو يقول: سأعجل تمامها إن شاء الله، وبعد
القادمة كنت حريصاً على ترتيب مولد الرسول صلى الله عليه وسلم. حتى أتاني ولدي
ذات يوم بالقلم ويقول لي: أبأد الآن، فأبدؤه.

عند المجلس الآخر كان الحبيب يملي مولده من: فسبحان الذي أبرز من
حضرة الإمتنان، إلى: ويكتب بعناية الله في حزيه. وفي يوم الثلاثاء في أول شهر ربيع
الأول ١٢٣٧ هـ أمر الحبيب بقاء المولد المكتوب ويفتحه الحبيب بالفتحة العظيمة
الشريفة. ثم في ليلة الربيع في التاسع من ربيع الأول كان يبدأ الحبيب بقاء مولده عند
بيته بعد تمام وكمال المولد باسم سمط الدرر. وفي يوم الخميس في العاشرة من ربيع الأول
كان الحبيب يتمه ويكمله بعد مرات.

وقرأ الحبيب عند بيت مريده السيد عمر بن حامد السقاف في ليلة السبت في
الثاني عشر من ربيع الأول ١٣٢٧ هـ، ومنذ ذلك كان الحبيب يقرأ مولد سمط الدرر
وحده الذي من قبله لا يزال بقاء المولد الديباعي. وبدأ انتشار هذا المولد الشريف في

^٣ أحمد فيصل خيراني "سمط الدرر للحبيب علي بن حسين الحبشي في دراسة تحليلية أدبية سمبوتيكية" بحث تكميلي للدرجة الجامعية
(S.Hum). شعبة اللغة العربية وأدبها بكلية العلوم الإنسانية والثقافة. جامعة الإسلامية الحكومية بمالانج. ٢٠٠٧ م. ص ٤٩

^٤ Naufal, Muhammad Alaydrus. Biografi Habib 'Ali Habsyi Muallif Simthud Durar. Hal: 60

سيئون وجميع منطقة حضر موت، فلذا لقد أملى ذلك السيد الحبيب في ثلاثة مجالس خفيفة وذلك في وسط شهر ربيع الأول عام ١٣٢٧ هـ نفع الله بجامعه قلب كاتبه وقارئه وسامعه في الدنيا والآخرة آمين.

ب. المبحث الثاني: ترجمة المؤلف الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي.

١. حضر موت مولد هذا الحبيب

حضر موت مصر من أمصار اليمن العربية الإسلامية. لها تاريخها ورجالها الأفاضل كتب عنها بعض المؤرخون والعلماء نذرا لا يفي بمقامها الحقيقي ومستواها المعرفي في مراحلها المتلاحقة. ومازالت إلى اليوم حقائق أعلامها وصدورها الأمائل مجهولة عن نشأتها ومنسوباتها فضلا عن غيرهم. وكل ما يعرفه أولئك عن هذا المصر ورجاله معلومات كان أغلبها خلط وتشويش. وحملات مغرضة أو تساؤلات مبغضة غدتها عوامل الصمت والتجهيل. وأشعلت أوارها أقلام حقد وتضليل. فظن الكثيرون أن حضر موت كغيرها من البلاد مشار إليها بالجهالات والضلالات ليس لها من التاريخ غير الفهم والتخليلات. والشهوة والإستحضارات وطعن الخلف في السلف الغابر على غير بصيرة ولا هدى وأخذوا ينقضون العرى ويستملحون الإجتراء والسلف الصالح كمثل هذا الحبيب من هذا التهجم المغرض براء وعذر المتقولين على التاريخ^٥.

وحضر موت كانت من أرخبى بلاد الله إلى غاية ولما خرب السد قلت فيه البركات وتنكرت فيه الأشياء ولاسيما في هذا الزمان الأخير قالوا كان يمر المار وعلى رأسه الزنبيل فيمتلي من كثرة الأشجار والأثمار حتى أن الحبيب عمر بن عبد الله الجفري ساكن المدينة المنورة المشهور ببواب الحضرة المحمدية قال العقيل بن عبد الله بن يحيى أتعجب من الحبيب أحمد بن عيسى مع قوة كشفه حيث خرج بأولاده من البصرة أرض الرخاء إلى هذه الأرض الضنكة معيشتها فوقعو في بلية أعظم منها خرج هاربا بهم من

⁵ <http://ar.wikipedia.org/wiki/>)_)

أرض البدع فصاروا يسافرون إلى أرض الكفر فقال له عقيل مهاجر أليها سيد احمد بن عيسى إلا قبل خراب السد وكانت بدع فصاروا يشافرون إلى أرض الكفر فقال له عقيل مهاجر إليها سيد احمد بن عيسى إلى قبل خراب السد وكانت إذ ذاك في غاية من رغد العيش والسلامة من البدع والإختلاف قال سيدي حتى أهل الحجاز يأخذون الطعام من حضر موت قال البرزنجي في مولده عند ذكر قصي سمي بقصي لتقاصيه في بلاد قضاة القصية وبلاد قضاة هي وادي عمد ولكن إنشاء الله الآن أتى الفرج.

ان حضر موت بلاد ماحل بطقس ساخن حارو المجتمع فيه يزرعون شغلة يومية في النهار معيشتهم وحالة القضاء هناك تحت راية العلماء والمشايخ وكان المشهور ببلاد أولياء والحبائب أوزرية رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه مركزهم. وأما بلاد حضر موت بيمن يتكون على أنواع مدينة صغيرة أوقرية، منها مدينة تريم وهي عاصمة حضر موت وسيئون وقسم ومكلا وما إلى ذلك. وحينما جاء الليل فكانوا شاغلين ومركزين بالعبادة من قراءة القرآن أو الأوراد المختلفة وحضور مجالس التعليم وغيرها.

٢. ميلاده ونشأته

كان الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي إمام العلويين في زمنه وسيخ الشيخ في عصره و أوانه حادي النبوة ومرآتها ولسان الدعوة المحمدية وسيد حدثها علي بن محمد بن حسين بن عبد الله بن عبد الله بن محمد بن حسين بن أحمد صاحب الشعب بن محمد بن علوي بن أبي بكر الحبشي بن علي بن احمد بن محمد أسد الله بن حسين الترابي بن علي ابن الفقيه المقدم محمد بن علي ابن محمد صاحب مرباط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد بن عبد الله ابن المهاجر احمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين

أحمد فيصل خيراني "سمط الدرر للحبيب علي بن حسين الحبشي في دراسة تحليلية أدبية سمبوتيكية" بحث تكميلي للدرجة الجامعية (S.Hum). شعبة اللغة العربية وأدبها بكلية العلوم الإنسانية والثقافة. جامعة الإسلامية الحكومية بمالانج. ٢٠٠٧ م. ص: ٤٢

العابدين ابن الحسين ابن فاطمة الزهراء ابنة الرسول الله محمد ابن عبد الله عليه الصلاة والسلام.^٧

ولد ببلدة "قسم" بحضر موت يمن الشهيرة في يوم الأربعاء ٢٤ شوال سنة ١٢٥٩هـ واسم قسم لمدينة صغيرة بالنسبة إلى سيدنا علي بن علوي (خالع قسم)، حيث كان والده مقيماً بها لنشر الدعوة إلى الله والتعليم العام وتربيته ونشأ تحت رعاية والدته وقرأ القرآن عند أحد المشايخ من آل أبي قشير وكان قبل ذلك قد سافر والده إلى الحجاز بإشارة من الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ومعه ثلاثة من أبنائه الكبار وهم عبد الله وأحمد وحسين، ونشأ الحبيب علي تحت رعاية والدته الشريفة علوية بنت السيد حسين الجفري وكانت على جانب عظيم من التقوى والإستقامة ومعرفة علوم الدين ولذلك كان اهتمامه بالحبيب علي كثيراً خلال مرحلة بقائها في "قسم" ثم خرج إلى سيئون بحضر موت مع أمه خلال عام ١٢٧١ هـ وعبر في طريقهما إلى المسيلة لزيارة الحبيب عبد الله بن حسين فقرأ عليه وألبسه وأجازه ودعا له بالفتوح والعطاء اللدني^٨.

وأما أمه سيدة سالحة العارفة بالله والداعية إلى الله الشريفة علوية بنت السيد حسين بن أحمد الهادي الجفري وهي من مدينة شيبام. وكان أبوه يحب الدعوة ألى مشترك الرجال والنساء. ولما استمع أبوه عن أمه فزوجها ونقلها إلى مدينة مسكنه وهي مدينة تربة.

وأبوه السيد الحبيب محمد بن حسين الحبشي وميلاده في تاريخ ١٨ جماد الأخير ١٢١٣ هـ، وهو يخدم في حياته للتعلم والتعلم والدعوة إلى الله والعبادة، وقد توفي أبوه وكان الحبيب علي في الثاني والعشرين من عمره. وأنساب الحبيب علي هو علي بن محمد بن حسين بن أحمد صاحب الشعب بن محمد أصغر بن علوي بن أبي بكر الحبشي بن علي بن أحمد بن محمد أسد الله بن حسن التري بن علي بن الفقيه المقدم

^٧السقاف، السيد عبد الله بن محمد بن حامد بن عمر، تاريخ الشعراء الحضرميين، (القاهرة: مطبعة حجازي، الجزء الرابع، مجهول السنة)، ص: ١٢٨

^٨ Naufal, Muhammad Alaydrus. Biografi Habib 'Ali Habsyi Muallif Simthud Durar. Hal: 24

محمد بن علي بن محمد صاحب مربط بن علي خالع قسم بن علوي بن محمد علوي بن عبيد الله بن المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد نقيب بن علي العريضي بن جعفر الصديق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن حسين بن فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. الأشخاص المشهورة من بني الحبشي هو السيد أبو بكر بن عمر بن شيخ الحبشي والسيد طاهر بن شيخ بن أحمد الحبشي.

ولما استقر بسيون اشترك مع طلبتها في مدارسهم ومذاكراتهم العلمية وكان علي جانب واسع من سرعة الحفظ والصبر على السهر في المطالعة حتى لربما طلع عليه الفجر وهو مستغرق في مطالعته وفي سنة ١٢٧٦ هـ سافر إلى الحجاز بطلب من والده مكث بها قرابة العامين نال فيهما من مختلف العلوم والمعارف ما أضاف إلى نوره نورا ثم عاد إلى سيون مرة أخرى.

وقد استوعب المترجمون للحبيب علي أسماء مشايخه الذين تضيق السطور عن ذكرهم ويكفي هنا أن نشير إلى شيخ فتحه وإمامه الروحي الذي ينتسب إليه في كل فتوحه ومنوحه الحبيب العلامة أبي بكر بن عبد الله العطاس رحمه الله الذي اتصل به وأخذ عنه في الشرح وحضر موت الداخل وفي الحجاز. وفي كل تلك الأحوال قام الحبيب أبو بكر لبعطاس بباسه وإجازته، والنظر إليه حتى صار بتلك الرعاية بعد توفيق الله تعالى مقتبسا للأنوار ومركز الإمدادات والواردات حسب القارئ أن يلتفت إلى نظم الحبيب علي بن محمد الحبشي في ديوانه الحكمي والحميني ليرى مدى الإبداع الجامع لمحاسن شتى ووصف صادق لعلاقته بشيخه وأستاذ روحه. الشيخ الذي أذن له فيما بعد أن يبرز للتدريس العام. وازدهرت سيون وماحولها ببروزه حيث تصدر الدروس الفقهية والنحوية والصرفية. وحدا بلسانه الفياض وواردته الربانية بما يهز الأفتدة ويستجلب الدموع. وكان الكثير من أشياخه من يحضرون دروسه ومذاكراته ليرون جني الغراس الذي غرسوه بأيديهم.

وحالة ديناوية وبيت الحبيب علي، أن الأمراء والعلماء والأغنياء والمرشدين أو السلطان لا يحصلون النعم ظاهرة وباطنة ونعم الدنيا والآخرة كما أنعم الله تعالى على الحبيب علي رضي الله عنه، وكان له بيت كبير وطنافس لينة وحديقات واسعة وأموال كثيرة والخدامون والتابعون المختلفة وأنواع الطعام المعدة في غرف بيته وغيرها وذلك كله لا لنسه وأسرته ولكن لضيوف الحبيب وعمارة مجتمع حضر موت وغايته في نجاح الدعوة إلى الله، والمهم على هذا كله أن الحبيب لا يحب الشهورة وما زال في بساط وتواضع.

وفي سنة ١٢٩٥ هـ بني الحبيب علي مسجده المعروف بمسجد الرياض وبني ملاصقا له الرباط العلمي الشهير الذي كان أول رباط يبني في حضر موت خلال القرون الأخيرة لهذا الغرض السامي وكثر الوافضون لطلب العلم والتلقي والأخذ من بلاد شتى ومناطق متفرعة. يتردد عليه وعلى بقية المجالس البهجة المعقودة في سيون العديد من طلبة العلم بترجم ورجال المعرفة. ومنهم السيد علوي بن عبد الرحمن المشهور وإلى أخده وانتفاعه أشار تاريخ الشعراء عند ذكره المنتفعين بالحبيب علي بن محمد الحبشي وفي آثار السيد علوي الشعرية والنثرية ما يبرز لنا حقيقة هذه العلامة، من ذلك رسالته الغراء التي كتبها في شهر جماد الأخير من سنة ١٣١٢ هـ لشيخه الحبشي.

٣. وفاته

وفي أواخر حياته كان الحبيب علي زاد على أعشى العين، وقبل السنتين من وفاته ضاع نظره. وسوف ينتقل الحبيب إلى رحمة الله تعالى كان أول العلامة اثتلام وذلك عليه في سبعين يوما حتى يؤدي صحته ثم أتى وقت الظهر يوم الأحد في العشرين من ربيع الثاني ١٣٣٣ هـ قد انتقل الحبيب إلى رحمة الله ودفن بعد العصر يوم الإثنين في غرب مسجد الرياض^٩.

⁹ Naufal, Muhammad Alaydrus. Biografi Habib 'Ali Habsyi Muallif Simthud Durar. Hal: 77

٤ . مؤلفاته

- أ. سمطالدرر في أخبار مولد خير البشر وما له من أخلاق وأوصاف وسير (نهاية املاءه في شهر ربيع الأول عام ١٣٢٧هـ).
- ب. كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية. (دون السنة) قام بطبعه السيد علي بن عيسى الحداد.
- ج. الجوهر المكنون.
- د. الفتوحات الإلهية (١٤١٣ هـ).
- هـ. مجموع الوصايا والإجازات (١٤١٢ هـ).^{١٠}

ج. المبحث الثالث: علم البلاغة

١ . تعريف علم البلاغة

البلاغة لغة: الوصول والإنتهاء، والمتكلم العاجز عن إيصال كلام ينتهي إلى قرارة نفس السامع ليؤثر فيها تأثيراً شديداً لا يسمى بليغاً. والبلاغة اصطلاحاً: أن يكون الكلام فصيحاً قوياً فنياً يترك في النفس أثراً خلافاً، ويلائم الموطن الذي قيل فيه، والأشخاص الذي يخاطبون^{١١}. وتنقسم البلاغة إلى ثلاثة فنون هي علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع.

٢ . ارتباط بين علم البديع بعلم المعاني والبيان

قد وفق البلاغيون أن علم البديع وعلم المعاني وعلم البيان وهذه الثلاثة توحدت في علم البلاغة، يدرسون قواعد أسلوب اللغة الآت تستخدم في الكلام أو الكتابة مجملاً. وأما ارتباط علم البديع بكليهما كما يلي:

¹⁰ <https://www.facebook.com/ImamAlhabshi110/info>

¹¹ الشيخ أحمد قلاش، تيسير البلاغة، (المدينة المنورة. ١٩٩٥)، ص: ٥

كما يعرف علماء البلاغة أن علم المعاني يعرض لمساعدة الإنسان، هلّ طابق الكلام ما يطلب الحال. وعلم المعاني هو علم يعرف به هلّ طابق الكلام ما يطلب الحال أم لم يطابق. فمثلا حال المخاطب الذكي يقتضى الإختصار، وحال العنيد أو البليد يقتضى التطويل، كما قال: تكفي اللبيب إشارة مرموزة وسواه يدعى بالنداء العالى^{١٢}.

أو علم يعرف بما أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال^{١٣}. عرفنا علم المعاني تعرف به الحال التي تقتضى إيراد الكلام على صورة مخصوصة كالتأكيد، أو الإيجاز أو الوصل أو غير ذلك.

علم البيان هو علم الذي يبحث عن شكل الألفاظ من حيث تبيينها للمعاني، هي في صيغة الحقيقة المجردة أو المشبهة أو المجاز أو الكناية. والمراد هو وسيلة لتعبير عن المعنى مع أنواع الأسلوب: كأسلوب التشبيه والمجاز والكناية^{١٤}. أو العلم الذي يبحث عن كيفية تركيب التحرير المتنوع من وجهة التعريف.

فيتضح مما سبق أن علم المعاني والبيان يبحثان عن طلب المعنى المراد غير أن الأول منهما يبحثه حول وجود مطابقة الكلام لمقتضى الحال بأن يكون الكلام موافقا مدلوله لما تقتضيه الحال التي وقع فيها حيث يلائم للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون. وأن الثاني يبحثه من الهدف إلى إرادة المعنى، المراد من حيث تأديته بطرق مختلفة وصور متعددة تختلف في قوة دلالتها على ذلك المعنى في الواضح.

وأما علم البديع كما قدم علماء البلاغة من قبل معظمه تزين العبارة أو الكلمة بألوان (بديعية) من الجمل اللفظي أو المعنوي. ويسمى العلم الجامع لهذه المحاسنات بعلم البديع ولذلك علم المعاني والبيان يبحثان عن المادة ومحتوياتها.

^{١٢} الشيخ أحمد قلاش، تيسير البلاغة، ص: ٩

^{١٣} الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م)، ص: ٣٤

^{١٤} الشيخ أحمد قلاش، تيسير البلاغة، ص: ٦٧

ولقد ألف في هذا العلم (علم البديع) المؤلفون، وأسرف في أنواعه المسرفون،
وتكلف في اختراعها المتكلفون، فضاع كثير من المعاني بين زحمة الألفاظ المصطنعة،
واختنق روح المعنى المراد تحت ركام، من بارد الكلام.
والمعنى الجميل، كالوجه الجميل، لا تحتاج إلى طلاء كاذب، أو تجميل مصطنع، وإن
الأمر لكما قال القائل:

وما الحلبي إلا زينة لنقيصة يتم من حسن إذا الحسن قصرا
فأما إذا كان الجمال موفرا كحسنك فلم يحتاج إلى أن يزورا^{١٥}
لكن لا بأس بقليل من التأنق والزخرف، بشرط أن لا يكون هناك إسراف وتكلف،
والأصل في الحسن أن تكون الألفاظ تابعة للمعنى دون العكس.

٣. علم البديع وبحثه

علم البديع لغة هو المخترع الموجد على غير مثال سابق. وهو مأخوذ ومشتق من
قولهم: بدع الشيء وأبدعه، اخترعه لا على مثال. واصطلاحا: هو علم يعرف به الوجود،
التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقا، بعد مطابقتها لمقتضى
الحال. مع وضوح دلالاته على المراد لفظا ومعنى.

من مجال بحث علم البلاغة علم البديع، والقصد من هذا العلم البحث عن كيفية
تزين العبارة، في الألفاظ أو المعاني. والبحث في مجالين "المحسنات اللفظية والمعنوية". أما
المحسنات اللفظية فتتكون على الجناس والإقتباس والسجع وأما المحسنات المعنوية فتتكون
على التورية والطباق والمقابلة وحسن التعليل وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه
وأسلوب الحكيم^{١٦}.

^{١٥} الشيخ أحمد قلاش، تيسير البلاغة، ص: ١٣٠

^{١٦} أمين، علي الجارم ومصطفى، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، (الحرمين، مجهول السنة)، ص: ٣٠٤

الواضع الأول لهذا العلم وهو عبد الله ابن المعتز العباسي المتوفي سنة ٢٧٤ هجرية. ثم اقتفى أثره في عصره قدامة بن جعفر الكاتب فزاد عليها. ثم ألف فيه كثيرون كأبي هلال العسكري، وابن رشيق القيرواني، وصفي الدين الحلبي، وابن حجة الحموي، وغيرهم ممن زادوا في أنواعه، ونظموا فيها قصائد تعرف (بالبديعيات).

٤. أنواع علم البديع

وينقسم علم البديع على قسمين^{١٧}:

(١) المحسنات المعنوية هي التي ترون التحسين بها واجعا إلى المعنى أولا وبالذات ثانيا. وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ.

(٢) المحسنات اللفظية هي التي تكون التحسين بها واجعا إلى اللفظ أصالة وإن حسنت المعنى أحيانا تبعا. وقسم علم البديع إلى ثلاثة أقسام. فزاد ما يتعلق بتحسين المعنى واللفظ معا كالطباق والمقابلة والأمر القريب.

والتقريب لمعرفة المحسنات المعنوية أنه لو غير اللفظ بما يرادفه لم يتغير المحسن المذكور بخلاف محسنات اللفظية فعلاقتها أنها لو غير اللفظ الثاني وهو دلالة التحسين إلى ما يرادفه زال ذلك المحسن.

ثم إن لكل من المحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية أنواع كثيرة يختلف البلاغيون عن ذكر جميعهما. فمنها ما يذكر عند بعضهم ومنها ما يذكر عند الآخر. والكاتب هنا لا يريد بيان تلك أنواع المحسنات تفصيلا، بل سيذكرها إجمالا مأخوذا من مراجع كتب البلاغة أو سيركز بحثه عن المحسنات المعنوية فحسب.

١- ن المحسنات المعنوية هي ما كان التحسين بها راجعا إلى المعنى أولا

وبالذات، وإن حسنت اللفظ تبعا^{١٨}.

^{١٧} القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، (بيروت: دار الكتب العلمية، مجهول السنة)، ص: ٣٤٨

^{١٨} الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م)، ص: ٢٦٢

٢- أقسام المحسنات المعنوية التي تحتويها كتب المراجع هي^{١٩}:

١. التورية.	١٤. المزاجية.	٢٥. التوجيه.
٢. الاستخدام.	١٥. الطي والنشر.	٢٦. نفي الشيء بإيجابه.
٣. الاستطراد.	١٦. الجمع.	٢٧. القول بالموجب.
٤. الافتنان.	١٧. التفريق.	٢٨. ائتلاف اللفظ مع المعنى.
٥. الطباق.	١٨. التقسيم.	٢٩. التفريع.
٦. المقابلة.	١٩. الجمع مع التفريق.	٣٠. الاستتباع.
٧. مراعاة النظر.	٢٠. الجمع مع التقسيم.	٣١. السلب والإيجاب.
٨. الإحصاء.	٢١. المبالغة.	٣٢. الإبداع.
٩. الإدماج.	٢٢. المغايرة.	٣٣. الأسلوب الحكيم.
١٠. المذهب الكلامي.	٢٣. تأكيد المدح بما يشبهه.	٣٤. تشابه الأطراف.
١١. حسن التعليل.	الذم.	٣٥. العكس.
١٢. التحريد.	٢٤. تأكيد الذم بما يشبهه.	٣٦. تجاهل العارف.
١٣. المشاكلة.	المدح.	

٥. أنواع المحسنات المعنوية المعينة

لتوسيع مادة المحسنات المعنوية وكثرتها فيبين الباحث تفصيلا بعض المادة التي تناسب بحثه، منها: التورية والمقابلة والطباق.

أ) مفهوم التورية أنواعها و أمثلتها

التورية لغة: مصدر وريت الخبر تورية: إذا سترته، وأظهرت غيره. واصطلاحا: هي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان أحدهما قريب غير مقصود ودلالة اللفظ

^{١٩} الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة، ص: ٣١٩

عليه ظاهرة والآخر بعيد مقصود ودلالة اللفظ عليه خفية فيتوهم السامع أنه يريد المعنى القريب وهو إنما يريد المعنى البعيد بقريظة تشير إليه لا يكشفها إلا الفطن^{٢٠}.

وقال أحمد مطلوب في كتابه فنون بلاغية: "التورية أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورّي عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك"^{٢١}.

وقال أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ في كتابه البديع في البديع " أن التورية هي أن تكون الكلمة بمعنيين فتزيد أحدهما، وتورّي عنه بالآخر"^{٢٢}.

وفي رأى عبد المتعال الصعدي في كتابه بغية الإيضاح " وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيدا ويراد به البعيد منهما"^{٢٣}.

ففي هذه الناحية يخلص الباحث أن يعرف التورية هي أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان قريب ظاهر غير مراد وبعيد خفي هو المراد.

فمن أمثلتها قول سراج الدين الوراق:

أصون أدبم وجهي عن أناس # لقاء الموت عندهم الأديب
 ورب الشعر عندهم بغيض # ولو وافي به لهم حبيب^{٢٤}

فكلمة "حبيب" في هذا المثال لها معنيان: أحدهما المحبوب وهو المعنى القريب المتبادر إلى الذهن بسبب التمهيد له بكلمة بغيض والثاني "إسم أبي تمام الشاعر" وهو حبيب بن أوس، وهذا المعنى بعيد وقد أراده الشاعر ولكنه تلطف فورى عنه وستره بالمعنى القريب.

^{٢٠} التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ١٩٩٩م)، ص: ٢٩٢

^{٢١} مطلوب، أحمد، فنون بلاغية، (القاهرة: دار البحوث العلمية، ١٨٧٥م)، ص: ٢٩٣

^{٢٢} أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، البديع في البديع، (بيروت: دار الكتب العلمية، مجهول السنة)، ص: ٩٧

^{٢٣} الصعدي، عبد المتعال، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، (القاهرة: مكتبة الأدب، الطبعة الأولى، الجزء الرابع، مجهول السنة)، ص: ٢٥

^{٢٤} أمين، علي الجارم ومصطفى، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، (الخرميين، مجهول السنة)، ص: ٢٧٦

ومن أمثلتها قوله تعالى: الرحمن على العرش استوى^{٢٥}. لأن الاستواء على معنيين:

أحدهما: الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود لأن الحق تعالى وتقدس متره عن ذلك.
ثانيهما: الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذى ورى عنه بالقريب المذكور^{٢٦}.

قسم البلاغيون التورية إلى أربعة أقسام^{٢٧}:

(١) التورية المجددة وهي التى لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به وهو المعنى القريب ولا من لوازم المورى عنه وهو المعنى البعيد. ومثاله قوله تعالى: الرحمن على العرش استوى^{٢٨}.

أحدهما: الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود لأن الحق تعالى وتقدس متره عن ذلك.
ثانيهما: الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذى ورى عنه بالقريب المذكور^{٢٩}.

(٢) التورية المرشحة وهي التى يذكر فيها لازم المورى به سميت بذلك لتقويتها بذكر لازم المورى به ثم تارة بذكر اللازم قبل لفظ التورية وتارة بعده فهي بهذا الاعتبار قسمان:

أ. الأول منها هو ما ذكر لازمه قبل لفظ التورية، كقوله تعالى: والسماء بنيناها بأيد^{٣٠}.

^{٢٥} سورة طه ٥

^{٢٦} مطلوب، أحمد، فنون بلاغية، (القاهرة: دار البحوث العلمية، ١٨٧٥م)، ص: ٢٩٤

^{٢٧} مطلوب، أحمد، فنون بلاغية، ص: ٢٩٥

^{٢٨} سورة طه ٥

^{٢٩} مطلوب، أحمد، فنون بلاغية، ص: ٢٩٤

^{٣٠} سورة الذاريات ٤٧

فإن قوله " بأيد " يحتمل الجارحة وهو المعنى القريب المورى وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح "البنيان" ويحتمل القوة وعظمة الخالق وهذا المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد فإن الله تعالى منزه عن المعنى الأول.

ب. الثاني منها هو ما ذكر لازمه بعد لفظ التوري، كقول الشاعر:

مذهمت من وجدني في خالها # ولم أصل منه إلى اللثم
قالت: قفوا واستمعوا ماجرى # خالي قد هام به عمي^{٣١}
فالخال يحتمل أن يكون خال النسب وهو المعنى القريب المورى به وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو العم.

٣) التورية المبيّنة وهي ما ذكر فيها لازم المورى عنه قبل لفظ التورية أو بعده. وهي قسمان:

أ. الأول هو ما ذكر لازمه من قبل، كقول البحترى:

ووراء تسدية الوشاح مليّة # بالحسن تملح في القلوب وتعذب^{٣٢}
"تملح" تحتمل أن تكون من الملوحة وهو المعنى القريب المورى به وتحتمل أن تكون من الملاحظة وهو المعنى البعيد المورى عنه، وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين "مليّة بالحسن".

ب. الثاني هو الذى يذكر فيه لازم المورى عنه بعد لفظ التورية، كقول ابن سناء الملك:

أما والله لولا خوف سخطك # لهان عليّ ما ألقى برهطك
ملك الخافقين فتتهت عجباً # وليس هما سوى قلبي وقرطك^{٣٣}

^{٣١} مطلوب، أحمد، فنون بلاغية، (القاهرة: دار البحوث العلمية، ١٨٧٥م)، ص: ٢٩٦

^{٣٢} مطلوب، أحمد، فنون بلاغية، (القاهرة: دار البحوث العلمية، ١٨٧٥م)، ص: ٢٩٧

^{٣٣} مطلوب، أحمد، فنون بلاغية، ص: ٢٩٧

يحتمل "الخفقين" أن يريد ملك المشرق والمغرب وهو المعنى القريب المورى به، ويحتمل أن يريد قلبه وقرط محبوبته وهو المعنى البعيد المورى عنه، وهو المراد فإن الشاعر صرح بعد "الخفقين" بذكر القلب والقرط.

(٤) التورية المهيأة وهي التي لاتقع فيها التورية ولا تنهياً إلا بلفظ الذي قبلها أو بلفظ الذي بعدها. أو تكون التورية في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر. فالمهيأة بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام:

أ. الأول هو الذي تنهياً فيه التورية من قبل، كقول ابن سناء الملك:
وسيرك فينا سيرةً عمريةً # فروحت عن قلب وأفرجت عن كرب
وأضهرت فينا من سميك سنةً # فأضهرت ذاك الفرض من ذلك الندب^{٣٤}
يحتمل "الفرض" و "الندب" أن يكون من الاحكام الشرعية وهذا هو المعنى القريب المورى به، ويحتمل أن يكون "الفرض" بمعنى العطاء و "الندب" صفة الرجل السريع في قضاء الحوائج الماضي في الامور، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، ولولا ذكر "السنة" لما تهيأت التورية فيهما ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحّت بهما التورية.

ب. الثاني هو الذي تنهياً فيه التورية بلفظة من بعد، كقول الشاعر:

لولا التطير بالخلاف وأنهم # قالوا مريض لايعود مريضاً

لقضيت نجبا في جنابك خدمة # لأكون مندوباً قضى مفروضاً^{٣٥}
فالمندوب يحتمل أن يكون أحد الاحكام الشرعية وهو المعنى القريب المورى به، ويحتمل الميت الذي يبكى عليه وهو المعنى البعيد المورى عنه.

^{٣٤} مطلوب، أحمد، فنون بلاغية، (القاهرة: دار البحوث العلمية، ١٨٧٥م)، ص: ٢٩٧

^{٣٥} مطلوب، أحمد، فنون بلاغية، ص: ٢٩٨

ت. الثالث هو الذي تقع التورية فيه في لفظين لولا كل منهما لما

تهيأت التورية في الآخر، كقول عمر بن أبي ربيعة:

أيها المنكح الثريا سهيلاً # عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا استقلت # وسُهَيْلٌ إذا استقلَّ يمانى^{٣٦}

يحتمل أن يكون " الثريا " ثريا السماء، و"سهيل" النجم

المعروف بسهيل وهو المعنى القريب المورى به. ويحتمل أن يكون

"الثريا" بنت علي بن عبد الله ابن الحارث بن أمية الاصغر،

و"سهيل" بن عبد الرحمن بن عوف، وهو البعيد المورى عنه.

ب) مفهوم الطباق أنواعها و أمثلتها

يسمى الطباق والتطبيق والتضاد والتكافؤ^{٣٧}، لغة مأخوذ من طابق البعير

مشيه إذا وضع خفَّ رجله موضع خفَّ يده^{٣٨}، وإصطلاحاً مختلفة عند علماء

البلاغة لكنهم فيه سواء في قصده ومن اختلافها:

قال ابن الأثير "إن الجمع من تسميتهم الضدين في هذا الباب خطأ محض

لأن أصل الاشتقاق يقتضى الموافقة لا المضادة"^{٣٩}.

قال ابن أبي الإصبع "وهو أول بالخطأ منهم لأن القوم رأوا أن البعير قد جمع

بين الرجل واليد في موطن واحد والرجل واليد ضدان أو في معنى الضدين فرأوا أن

الكلام الذي قد جمع فيه بين الضدين يحسن أن يسمى مطابقاً لأن المتكلم به قد

طابق فيه بين الضدين"^{٤٠}.

^{٣٦} مطلوب، أحمد، فنون بلاغية، ص: ٢٩٨

^{٣٧} شرف، حنفى محمد، صور البديعية، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٦م)، ص: ٧٣

^{٣٨} شرف، حنفى محمد، صور البديعية، ص: ٧٣

^{٣٩} شرف، حنفى محمد، صور البديعية، ص: ٧٣

^{٤٠} شرف، حنفى محمد، صور البديعية، ص: ٧٣

وقال الخليل "طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد"^{٤١}.
قال الأصمعي "وضع الرجل موضع اليد في مش ذوات الأربع وفيها مساواة
المقدار أيضا لأن من ذوات الأربع ما تجاوز رجله موضع يده"^{٤٢}.
قال ثعلب "هو تكرير اللفظ بمعنيين مختلفين وهو لا يمت إلى المطابقة بصلة
لامن الناحية اللغوية ولا من الناحية الاصطلاحية"^{٤٣}.
وقال ابن المعتز "بأنه الجمع بين الشيء وضده وساق لها امثلة من القرآن
والحديث وكلام الصحابة وأشعار الجاهلين والإسلاميين"^{٤٤}.
ثم تلاه قدامة بن جعفر ولم يتكلم عن صورة كلامية بمعنى "الجمع بين
لضدين تحت هذه التسمية وإنما سلك نهج أستاذه ثعلب في اطلاق كلمة مطابق
على تكرار اللفظ بمعنيين"^{٤٥}.
ثم بصورة أبي هلال العسكري فوجده الباحث أنه سلك طريق ابن المعتز
"هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من
بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار والحر والبرد"^{٤٦}.
ثم يقال ابن رشيق في كتابه العمدة "أن يقع في الكلام شيء مما يستعمل
للضدين"^{٤٧}. كقول: جلل بمعنى صغير وجلل بمعنى عظيم فإن باطنه مطابقة
وظاهره تجنيس. وكذلك الجون الأبيض والجون الأسود.^{٤٨}
ورأت عبد القاهر "أما التطبيق فأمره ابين وكونه معنويا أجلى وأظهر فهو
لغة الشيء وضده والتضاديين الألفاظ المركبة محال فهو بهذا لا يقصد دراسة

^{٤١} شرف، حفني محمد، صور البديعية، ص: ٧٣

^{٤٢} شرف، حفني محمد، صور البديعية، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٦م)، ص: ٧٤

^{٤٣} شرف، حفني محمد، صور البديعية، ص: ٧٥

^{٤٤} شرف، حفني محمد، صور البديعية، ص: ٧٦

^{٤٥} شرف، حفني محمد، صور البديعية، ص: ٧٦

^{٤٦} شرف، حفني محمد، صور البديعية، ص: ٧٦

^{٤٧} شرف، حفني محمد، صور البديعية، ص: ٧٧

^{٤٨} شرف، حفني محمد، صور البديعية، ص: ٧٧

الصورة لنفسها والكشف عن جمالها، وإنما يريد أن يبين أن حسنها رجع إلى المعنى وحسب ولكن معناها عنده لم يختلف عن سابقه وهي الجمع بين الشيء وضده^{٤٩}.

ثم رأت السكاكي قد اختصر الكلام عن هذه الصورة اختصارا كبيرا من حيث التعريف والشواهد والتخريج "وهي أن تجمع بين متضادين"^{٥٠}. كقوله:

أما والذي أبكى وأضحك والذي # أمات وأحيا والذي أمره الأمر^{٥١}
قال يحيى بن حمزة العلوي في كتابه الطراز "هو أن يؤتى بالشيء في الكلام من جهة لفظه أو معناه"^{٥٢}.

وفي رأى علماء البلاغة في العصر الحديث:

قال أحمد الهاشمي في كتابه جواهر البلاغة "هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى سواء كانا اسمين أم فعلين أم مختلفين أم حرفين"^{٥٣}. ثم ينقسم الى قسمان فهو طباق الإيجاب وطباق السلب^{٥٤}.

وقال أحمد مصطفى المراغي في كتابه علوم البلاغة "هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من أبيات القصيدة" ثم قسمها الى عدة أقسام^{٥٥}:

لأول: باعتبار طرفيها لأتقما إما أن يكونا من نوع واحد أو من نوعين مختلفين.

^{٤٩} شرف، حفي محمد، صور البديعية، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٦م)، ص: ٧٧

^{٥٠} شرف، حفي محمد، صور البديعية، ص: ٧٩

^{٥١} شرف، حفي محمد، صور البديعية، ص: ٨٠

^{٥٢} شرف، حفي محمد، صور البديعية، ص: ٨١

^{٥٣} الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م)، ص: ٢٦٦

^{٥٤} الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة، ص: ٢٦٦

^{٥٥} شرف، حفي محمد، صور البديعية، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٦م)، ص: ٨٣

ثاني: باعتبار الوضوح والخفاء وجعلها إما ظاهرة ويقصد بها ما كانت بألفاظ

الحقيقة وخفية ويقصد فيها ما كانت بألفاظ التردف.

الثالث: باعتبار نفى أحد الطرفين أو إيجابه - السلب والإيجاب^{٥٦}.

وفي رأى عبد المتعال في كتابه بغية الايضاح "هي الجمع بين المتضادين أي

معنيين متقابلين في الجملة"^{٥٧}.

فقال أسامة بن مرشد في كتابه البديع في البديع "هو أن تكون الكلمة ضد

الأخرى"^{٥٨}. كما قال الله سبحانه: وأنه هو أضحك وأبكى # وأنه هو أمات

وأحيا^{٥٩}.

وفي رأى علي الجارم في كتابه بلاغة الواضحة "الطباق الجمع بين الشئ

وضده في الكلام"، وهو نوعان:^{٦٠}

أ. طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا

كما قال تعالى: وتحسبهم ايقظا وهم رقود^{٦١}

ب. طباق السلب وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا^{٦٢} بحيث

يجمع بين فعلين من مصدر واحد أحدهما مثبت مرة ولآخر منفي

تارة أخرى كلام واحد^{٦٣}.

كما قال تعالى: يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله^{٦٤}.

^{٥٦} شرف، حفنى محمد، صور البديعية، ص: ٨٣

^{٥٧} الصعيدي، عبد المتعال، بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، (القاهرة: مكتبة الأدب، الطبعة الأولى، الجزء الرابع،

مجهول السنة)، ص: ٤

^{٥٨} أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، البديع في البديع، (بيروت: دار الكتب العلمية، مجهول السنة)، ص: ٦٣

^{٥٩} سورة النجم ٤٣-٤٤

^{٦٠} أمين، علي الجارم ومصطفى، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، (الخرمين، مجهول السنة)، ص: ٢٨١

^{٦١} سورة الكهف ١٨

^{٦٢} أمين، علي الجارم ومصطفى، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، (الخرمين، مجهول السنة)، ص: ٢٨١

^{٦٣} الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م)، ص: ٢٦٦

^{٦٤} سورة النساء ١٠٨

وقال ابن أبي الإصبع إن الطابقة ضربان^{٦٥}:

الأول: حقيقي وهو ما كان طرفاه بألفاظ الحقيقة فعلمين أو اسمين أو حرفين أو مختلفين.

فمثال الحقيقي كقول تعالى: وتحسبهم ايقظا وهم رقاد^{٦٦} فكلمة حقيقي هو تقع في لفظ ايقظا وراقود أي يستيقظ بل ينام.

الثاني: مجازي وهو ما كانت طرفاه غير حقيقيين أي استعمالا في غير موضعهما سواء كانا فعلمين أو اسمين أو مختلفين.

الاجازي قوله تعالى: أو من كان ميتا فأحييناه^{٦٧}. أي ضالا فهديناه، فالموت والإحياء لفظان مجازيان ومعناهما متضادان والضلالة والهدى وهما حقيقتنا اللفظيين متضادان أيضا.

والرأى عند الباحث كما قال أحمد الهاشمي في منح التعريف عن مفهوم الطباق "هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى سواء كانا اسمين أم فعلمين أم مختلفين أم حرفين".

ج) مفهوم المقابلة أنواعها و أمثلتها

وهذه صورة بديعية أخرى أول من تكلم عنها هو قدامة ابن جعفر في كتابه نقد الشعر تحت اسم صحة المقابلات "هي أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض أو المخالفة فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف مما يخالف على الصحة. بمعنى أنه إذا شرط شرطا أو عدد أحوالا في أحد المعنيين يجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده"^{٦٨}.

^{٦٥} مطلوب، أحمد، فنون بلاغية، (القاهرة: دار البحوث العلمية، ١٨٧٥م)، ص: ٢٧٠

^{٦٦} سورة الكهف ١٨

^{٦٧} سورة الانعام ١٢٢

^{٦٨} شرف، حفي محمد، صور البديعية، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٦م)، ص: ١٠٠

ثم تكلم أبو هلال العسكري تحت اسم المقابلة "هي إيراد الكلام ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة، فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل"^{٦٩}، مثل: ومكروا مكرا ومكروا مكرا^{٧٠}، فالمكر من الله تعالى العذاب جعله الله عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته.

ثم انتقلت ابن رشيق في كتابه العمدة "هي المقابلة مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم وجعله في أنواع كثيرة وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب فيعطى أول الكلام ما يليق به آخر، ويأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالفه، ووضع مقياس الحسن فيها بأن تكون المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدین كان مقابلة ثم أوجب الترتيب بين المتقابلات"^{٧١}.

وقال السكاكي في كتابه المفتاح "هي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده"^{٧٢}. فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسينسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسينسره للعسرى^{٧٣}. لما جعل التيسر مشتركا بين الإعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التفسير مشتركا بين أضداد، وهي المنع والاستغناء والتكذيب، هذا ما قاله السكاكي عن الصورة ولكن لى عليه تغليق في شاهده وهو الآية إذ فيها تظهر ضدية البخل والتصديق للإعطاء والتكذيب أما ضدية الاستغناء للتقى فحفية.

وتكلم أبي الأثير تحت اسم المقابلات "هي عبارة عن توحي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغى فإذا أتى بأشياء في صدر طلامه أتى بأضداها في عجزه على

^{٦٩} شرف، حنفى محمد، صور البديعية، ص: ١٠١

^{٧٠} سورة النمل ٥٠

^{٧١} شرف، حنفى محمد، صور البديعية، ص: ١٠٢

^{٧٢} شرف، حنفى محمد، صور البديعية، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٦م)، ص: ١٠٤

^{٧٣} سورة الليل ٥-١٠

الترتيب بحيث يقابل الأول بالأول والثاني بالثاني لايحرم من ذلك شيئاً في المخالف والموافق" ^{٧٤}.

وفي رأى ابن أبي لإصبع الفرق بين المطابقة والمقابلة من وجهين ^{٧٥}:
الأول: أن المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين والمقابلة تكون بالجمع بين أربعة أضداد: ضدان في صدر الكلام وضدان في عجزه وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد: خمسة في الصدر وخمسة في عجزه.

الثاني: أن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد. ثم انتقلت إلى العصر الحديث من العلماء في كتبهم:
قال أحمد الهاشمي في كتابه جواهر البلاغة "هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب" ^{٧٦}.

وقال المراعي "ومن الطباق نوع يخص باسم المقابلة" ^{٧٧}.
ثم قال علي الجارم في كتابه بلاغة الواضحة "المقابلة أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب" ^{٧٨}.

والرأى عند الباحث كما قال علي جارم في منح التعريف عن مفهوم المقابلة "هي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب".
ويأتى المقابلة على أنواع منها ^{٧٩}:

(١) مقابلة إثنين بإثنين، كقوله تعالى: فليضحكوا قليلا وليبكونا

كثيرا. ^{٨٠}

^{٧٤} شرف، حفنى محمد، صور البديعية، ص: ١٠٥

^{٧٥} شرف، حفنى محمد، صور البديعية، ص: ١٠٥

^{٧٦} الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة، (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م)، ص: ٢٦٧

^{٧٧} شرف، حفنى محمد، صور البديعية، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٦٦ م)، ص: ١٠٧

^{٧٨} أمين، علي الجارم ومصطفى، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، (الخرمين، مجهول السنة)، ص: ٢٨٥

^{٧٩} مطلوب، أحمد، فنون بلاغية، (القاهرة: دار البحوث العلمية، ١٨٧٥ م)، ص: ٢٧٧

^{٨٠} سورة التوبة ٨٢

- فقابل بين يضحكوا ويكوا، قليلا وكثيرا.
- (٢) مقابلة ثلاثة بثلاثة، كقوله تعالى: ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث^{٨١}.
- فقابل بين يحل ويحرم، لهم وعليهم، طيبات وخبائث.
- (٣) مقابلم أربعة بأربعة، كقوله تعالى: فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى^{٨٢}.
- فقابل بين أعطى وبخل، اتقى واستغنى، صدق وكذب، يسره لليسرى ويسره للعسرى.
- (٤) مقابلة خمسة بخمسة، كقوله الشاعر:
- بواطئ فوق خد الصبح مستهر # وطائر تحت ديل الليل مكتم
- فقابل بين بواطئ وطائر، فوق وتحت، خد وديل، الصبح والليل، مستهر ومكتم.

٦. تعريف المدح

المدح لغة أحسن الثناء وضد الذم^{٨٣}. واصطلاحا كما تقدمكره هو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية، كرجاحة العقل والعدل والعفة والشجاعة، وأن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه، وتعداد محاسنه الخلقية كالجمال وبسطة الجسم، وساع المدح عند ما ابتذل الشعر واتخذ الشعراء مهنة.

المدح فن عريق من فنون الشعر العربي، وأكثرها تناولا عند شعراء العربية منذ عرف الشعر العربي على صورته المعروفة، فيه تبارى الشعراء وتفاضلوا، وفيه كان معاشيهم.

^{٨١} سورة الاعراف ١٥٧

^{٨٢} سورة الليل ٥-١٠

^{٨٣} معلوف، لويس، المنجد في اللغة والأعلام، (بيروت: دار المشرق، الطبعة الأربعون، ٢٠٠٣م)، ص: ٧٥١

كان كبار الشعراء يمزجون المدح بالمعاني السامية والأهداف النبيلة، ويشبعونه المشاعر الطيبة الطاهرة، منها مدحهم على أشخاص الزعماء والعلماء والأحباء، بل لم يكون مقصورا على ذلك، بل مدحوا المساجد والمعالم ونحوها، ومدحوا خوفا من بطش أو اتقاء الشر، أو مدحوا لسبب سياسي، ومدحوا لسبب ديني، كما معروف في مدح آل البيت ومدح بعض رؤساء المذاهب الدينية، وربما مدحوا لإعجابه بالمدوح فقط دون أن يطمح من وراء مدحه إلى مال أو جزاء^{٨٤}.

والمدح هو غرض من أغراض الشعر، ومن أو سعتها انتشارا في عصور الأدب العربي على الاطلاق، والمدح في الأصل تعبير عن إعجاب المدح بصفات مثالية، ومزايا إنسانية رفيعة، يتجلى في مآثر قوم، أو في مآثر أمة من الأمم، وشعب من الشعوب. وأفضل المدح ما صدر عن صدق عاطفة، وحقيقة واقعة، لا يكذب فيه الشاعر، ولا يباليغ طمعا بكسب يناله، ومكانة يسعى لإليها^{٨٥}.

وقد عرف الشعر العربي المدح في كل لأشكاله واتجاهاته. وقلما نجد شاعرا عربيا ليس له قصائد في المدح، أو أبيات متفرقات، كما أو شك أن يكون لقصائد المدح منهج مرسوم لا يحد عنه، يستهله الشاعر بمقدمة في الوقوف على الأطلال، أو بالغزل، ووصف النقة التي تقله إلى مكان الممدوح، الذي تشعت، منذ الجاهلية إلى عصور المتأخرة، في دروب المديح الصادق المخلص، والمدح التُسبي المتزلف، تمجيذا لمآثر شخص، زاعجبا بفضائل قوم. كما تشعب في مسالك المديح السياسي، والمديح المنفصر على صفات الممدوح الشخصية والذاتية، أو امير، أو خلفية^{٨٦}.

وأصدق من مدح من الشعراء، وأقدمهم، زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي (٦٢٧ م) الذي أعجب النقاد والبلاغيون القدماء بطريقته لأنه ((كان لا يمدحه امراء إلا بما فيه))، ولم يتخذ المدح رغبة في نوال، أو خشية من عقاب. وكانت مدائحه

^{٨٤} محمد، محمود سالم، المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي، (دمشق: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ)، ص: ٤٨

^{٨٥} يعقوب، أميل بديع، المعجم المفصل في اللغة والأدب، (بيروت: دار الكتاب للملايين، ١٩٨٧م)، ص: ١١٣٢

^{٨٦} يعقوب، أميل بديع، المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص: ١١٣٢

إعجابا بصفات نادرة، وتقديرا لصفات بارزة، وصياغة لحكم سائرة، وتركيباً لفضائل الكرم وإحلال السلام والوئام بين القبائل المتحاربة، والأقوام المتناخرة، فأجاد في شعره، وافاد في حكمه، وأخلص في مدحه، وقد شهد هو نفسه على طبيعة مدحه^{٨٧}.

^{٨٧} يعقوب، أميل بديع، المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص: ١١٣٢